درب الخطى

قصة قصيرة عن حياة الامام المهدي (عج)

THE PATH OF TRAVEL

زيد بوتر
ZAID POTTER

" درب الحصى "

زيد بوتر

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لصالح مكتبة أكد العراق-النجف

Akad.bookstore 07810200898

متجر نرجس للكتب Narjis Bookshop

المؤلف: 07828757308

العراق- النجف الاشرف

مطبعة أفكار للطباعة العراق- النجف/الحويش

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد 2662 لسنة 2023

هوية الكتاب

- العنوان: "درب الحصى"
- موضوع الكتاب: حياة الامام المهدي عليه السلام
- حجم الكتاب: رقعي
- عدد الصفحات: 134 صفحة
- المؤلف: زيد بوتر
- التصحيح اللغوي: الشيخ تحسين البلداوي
- الإخراج: منى حيدر
- الناشر: دار و مكتبة أكد / متجر نرجس للكتب
- تصميم الغلاف: وكالة أي أم الإعلانية
- الطباعة: مطبعة افكار
- عدد النسخ: 100 نسخة
- الطبعة الاولى: سنة الطبع 2023

الفهرست

المقدمة.....7

إهداء.....9

الليلة الموعودة.....13

هذا صاحبكم.....23

الأوضاع السياسية.....35

بداية السفارة.....39

وأذن في الناس بالحج.....43

سجن وكرامة.....47

الشيطان في حضرة الايمان.....53

رحيل السلام.....55

الكذاب.....61

ذبول النرجس.....69

الكذاب مره أخرى.....71

شعاع الشمس الأول.....81

شعاع الشمس الثاني 87
مائدة الجنة..... 89
الملعونون..... 95
الغريم 101
محور الوجود..... 115
شعاع الشمس الثالث 119
شعاع الشمس الرابع 127
حلول الظلام 129

المقدمة

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) انه قال : (المهدي من ولدي ، تكون له غيبة وحيرة وتضل فيها الأمم ، يأتي بذخيرة الأنبياء (عليهم السلام) فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)

فما اصعب مهمة هذا الإمام العظيم الذي عانى من الصعوبات حتى في اول لحظة من حياته

فكان ابوه يعاني ما يعاني في اخفاء ولادته والتحفظ عليها الا للخواص من شيعته ليحافظ على وريث الانبياء والمنتقم للأولياء الذي يظهر به كل حق ويزهق به كل باطل ذلك الولي الذي اجتمعت فيه كل خصال الانبياء والصالحين فورث من ابراهيم تكسيره لأصنام الجبت والطاغوت، ومن داود حكمته ومن سليمان عرشه وملكه فهو مالك الأرض إذ كانت الأرض للهِ يُورِثُها مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ وَالعاقِبَةُ لِلمُتَّقِين،

و ورث من موسى خوف اهله عليه منذ الولادة، و من عيسى نطقه بالمهد وتأييده بروح القدس، و من الخضر غيبته وطول عمره ، ومن محمد (ص) لحمه ودمه وخَلقه و خُلقه واسمه وشريعته

ولا ينتهي الحديث هنا فشمولية هذا الامام لا تسعها الاسفار ولا الاوقات فهو باب اللهِ الذي مِنهُ يؤتى، ووجهُ الله الذي إلَيهِ يَتوجهُ الأولياءُ، والسبب المُتصل بينَ الأرضِ وَالسماءِ

فرزقنا الله رؤيته وجعلنا مِنْ أنصارِهِ واعوانه وَالذابينَ عَنه وَالمُسارعِينَ إلَيهِ فِي قضاء حَوائجهِ وَالممتثِلِينَ لأَوامِرِهِ وَالمحامِينَ عنْهُ وَالسابِقِينَ إلى إرادتهِ وَالمُستشهدين بين يديه انه ارحم الراحمين. والصلاة والسلام على محمد وآلهِ الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

زيد بوتر

إهداء

إلى سفراء سيد الطلعة البهية

إلى النواب الأربعة:

عثمان بن سعيد العمري

محمد بن عثمان

الحسين بن روح

علي السمري

سلامٌ عليكم وعلى ارواحكم النقية

هذا كتابي أهديه لصاحب الأمر

فسلموه إليه، وبلغوه عني تحية وحباً

وشوقاً لرؤية أيامه ودولته

زيد بوتر

(وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا)

الزمر

الليلة الموعودة

في مساء يوم الرابع عشر من شهر شعبان لعام ٢٥٥ هجرية

كان بقية آل محمد الإمام الحسن العسكري على موعد مع نبوءة الأنبياء ووعد الله إلى الإنسان.

هناك في مدينة سامراء في محلة تسمى بمحلة درب الحصى جلس الإمام يصلي، ويتلو سورة الكهف، وبعد أن فرغ من صلاته نظر إلى السماء إلى النجوم إلى ملكوت الله. نعم، إنها الليلة التي أخبر الله بها آدم عليه السلام. إنها الليلة التي بُشِّر بها الأنبياء نبيّاً بعد نبي.

إنها الليلة التي بَشر بها خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه واله وسلم. حمد الله، ثم نادى خادمه عقيد، وأخبره أنِ اذهب إلى بيت السيدة حكيمة عمة الإمام الحسن العسكري، وابنة الإمام محمد الجواد، وقل لها على لساني: "يا عمة اجعلي إفطارك الليلة عندنا، فإنها ليلة النصف من شعبان، فإن الله تبارك وتعالى سيُظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجته في أرضه".

كان بيت الإمام محاصراً، تحيط به العيون من جميع الجهات، فالخليفة العباسي كان يرسل الجواسيس ليشمّوا أخبار الإمام مع كل رشفة خمر يشربها، فملأ محلة درب الحصى بالعيون التي ترى والآذان التي تسمع كل شيء.

وصلت السيدة حكيمة، وهي تكاد أن تطير فرحاً. نظرت إلى ابن أخيها، وتغير فرحها إلى حزن بعد أن رأت الشيب قد غزا لحيته الشريفة وشعره، وهو ابن الثالثة والعشرين. وقد انهكه ظلم وطغيان بني العباس.

هذا الإمام العظيم هو كل ما تبقى في دنياها من رائحة أخيها الإمام علي الهادي وأبيها الإمام محمد الجواد عليهم أفضل الصلاة والسلام.

تبسم الإمام في وجهها، وقال لها: يا عمتي، أبشري، إنها الليلة الموعودة، الليلة سوف يولد مخلِّص البشرية جميعًا، الليلة سوف يتحقق ما أخبر به النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم عندما قال: من بعدي اثنا عشر إماما معصوما، أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم إمام من

ولده، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

تبشرت السيدة حكيمة، وهي على وشك أن تشهد بعينيها تحقُّق ما قاله آباؤها الطاهرون،

فقالت له: "ومن أمه؟" قال: "نرجس،" فقالت له "والله . جعلني الله فداك . ما بها أثر،" فقال: "هو ما أقول لك".

أشار لها الإمام إلى غرفة الدار حيث تجلس السيدة نرجس زوجة الإمام الحسن العسكري ترتل آيات من القرآن. دخلت السيدة حكيمة إلى الغرفة، فلما سلّمت، وجلست، جاءت تنزع خفيها، وقالت لها: "يا سيدتي، كيف أمسيت؟" فردت السيدة حكيمة "بل أنت سيدتي وسيدة أهلي". فأنكرت السيدة نرجس قولها، وقالت "ما هذا يا عمة؟" فقالت لها:

"يا بنية، إن الله تبارك وتعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة".

عادت السيدة نرجس إلى مجلسها وترتيلها، وكانت على وجهها هذه الليلة أطياف من نور الجنة، فقالت السيدة حكيمة. "إني أرى انعكاس أنوار الإمامة في وجهك سيدتي" فتبسمت السيدة نرجس لها.

لاحظت السيدة حكيمة عدم وجود آثار الحمل على السيدة نرجس، فأصبحت تفكر، وقطع تفكيرها صوت الإمام العسكري، وهو يقول لها "لا تشكي يا عمتاه" عادت البسمة لها، وهي بين يدي أم الطفل الذي سيخلِّص العالم من الظلم.

وكان الإمام العسكري يصلي، ويدعو الله، ويرمق السماء بنظراته الهادئة المستبشرة، وعلى جبينه الطاهر تتلألأ حبات عرقه الطاهر مثل ألماس يلمع في ضوء القمر.

قارب منتصف الليل، والسيدة نرجس على حالها ترقد مرة، وترتل آيات القرآن أخرى، وعلى وجهها طمأنينة نور محمد خاتم الأنبياء.

بدأ التوتر يتسلل شيئاً فشيئاً إلى قلب السيدة حكيمة، وهي ترى منتصف الليل قد بدأ، والسيدة نرجس لم تعانِ بعدُ من ما يعانيه النساء قبل وعند الولادة،

فناداها الإمام العسكري من باحة الدار، "لا تعجلي يا عمة فإن الأمر قد قرب".

فغفت السيدة حكيمة، ثم نهضت من نومها، وقد أضاءت الغرفة بنور عجيب قوي، لكنه يسر الأبصار، وبدأت تسمع أصوات الملائكة وهمهمات تسبيحاتهم تملأ الغرفة،

فقالت السيدة حكيمة لها: "اسم الله عليك، تحسين شيئاً؟"، قالت "نعم يا عمة،" فقالت لها "اجمعي نفسك، واجمعي قلبك، فهو ما قلت لك"،

قالت السيدة حكيمة، ثم أخذتني فترة، وأخذتها فترة، والسيدة نرجس قد غمرها نور حتى أصبحت لا تُرى، فقالت السيدة حكيمة: فانتبهتُ لصوت سيدي، فكشفت الثوب عنه، فإذا أنا به (عليه السلام) طفل من نور ساجداً، وقد سطع نور من فوق رأسه إلى عنان السماء، ثم رفع رأسه، وهو يقول: "أشهد أن لا إله إلا هو، والملائكة أولو العلم، قائماً بالقسط،

لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدِّين عند الله الإسلام،"
فضمته لها، فاذا به نظيف

شاهد جميع من في الدار طيوراً بيضاء تهبط من السماء، وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده، ثم تطير، فأخبروا أبا محمد العسكري (عليه السلام) بذلك، فضحك، ثم قال: تلك ملائكة السماء نزلت لتتبرك به، وهي أنصاره إذا خرج.

ثم نادى بها أبو محمد الإمام العسكري (عليه السلام) "هلمّي إليّ ابني يا عمة".

حمل الإمام ابنه في حجره، ثم قال تكلم يا بني، فقال: "أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول الله، ثم صلّى على أمير

المؤمنين (عليه السلام)" وعلى الأئمة إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم، فقال أبو محمد (عليه السلام): يا عمة اذهبي به إلى أمه ليسلم عليها، وائتيني به، فذهبت به، فسلم عليها، ورددته، ووضعته في المجلس، ثم قال يا عمة: اذا كان يوم السابع، فأتينا.

أرادت السيدة حكيمة أن تلقي نظرة على المولود قبل خروجها وعودتها إلى دارها، فأزاحت الستر فلم تره؟! فسألت الإمام العسكري عليه السلام، فقالت له: "جعلت فداك، ما فعل سيدي،" فقال عليه السلام: "يا عمة استودعناه الذي استودعته أم موسى (عليه السلام)".

(أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

النحل

هذا صاحبكم

وفي صباح اليوم القابل قال الإمام أبو محمد العسكري (عليه السلام): "ابعثوا إليَّ أبا عمرو،" فبعث إليه، فقال له: "اشتر عشرة آلاف رطل خبزاً وعشرة آلاف رطل لحماً، وفرِّقها حسبة على بني هاشم، وعقّ عنه بكذا وكذا شاة. بمناسبة ولادة حجة الله ولدي".

أخفى الإمام العسكري عليه السلام نبأ ولادة الإمام الحجة خوفاً عليه من بطش السلطة وجواسيسها. لكن العمل الأصعب كان إخفاءه عن أبرز جاسوس، وهو جعفر أخو الإمام العسكري. جعفر الذي هو ابن إمام وأخو إمام وعم إمام قد نفث الشيطان في نفسه، وغرته الدنيا، وأصبح يطلب الدنيا بمالها وجمالها. فجعفر لا يتوانى عن إبلاغ

السيوف العباسية المتعطشة لدماء آل علي مقابل المال والجاه.

فأصبح الإمام العسكري عليه السلام يشهد شيعته المقربين، ويبشرهم بولادة ولده الإمام المهدي عليه السلام، ويأمرهم بإبقاء خبر ولادته سراً؛ لأن السيف العباسي ما يزال متعطشاً لدماء الطالبيين من آل رسول الله.

فأرسل الإمام عليه السلام إلى بعض أصحابه يلتقيهم، وبينما هم جالسون إذ دخل عليهم وفي حجره طفل صغير على خده الأيمن خال، يكاد نور وجهه أن يضيء السماء والأرض.

فقال الإمام العسكري عليه السلام "هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتدّ إليه الأعناق

بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً".

فما أن حل اليوم السابع حتى أسرعت السيدة حكيمة، وهي تحث الخطى صوب محلة درب الحصى، هناك حيث يسكن ابن أخيها الطاهر الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

دخلت الدار، وسلمت على الإمام، وقالت "أين سيدي ومولاي؟" فوجدته في حجر أبيه ملفوفاً في خرقة، فقال له الإمام العسكري عليه السلام "تكلم يا بني،" فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وثنى بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) حتى وقف على أبيه (عليه السلام)،

ثم تلا هذه الآية (بسم الله الرحمن الرحيم ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون).

وكان من عادة رجال الشيعة الثقات أن يزوروا الإمام الحسن العسكري عليه السلام في بيته بين الحين والآخر.

وقد شاع بريق بين أوساط بعض الشيعة أن مولوداً ولد للإمام العسكري، وهو الإمام من بعده، لكن أحداً لم يرَه أو يرَ ما يدل عليه.

وفي أحد الأيام بعث الإمام أبو محمد العسكري برسالة إلى الشيخ أحمد بن إسحاق احد كبار الشيعة في قم جاء فيها:

"ولد لنا مولود. فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإنا لم نُظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والولي لولايته. أحببنا إعلامك ليسرّك الله به كما أسرّنا. والسلام".

لم يصدق الشيخ أحمد ما تقرأه عيناه، أعاد قراءة الرسالة لأكثر من مرة، وهو يبتسم تارة، ويبكي تارة أخرى. فقد تحقق وعد الله، لكن يجب عليه أن يكتمه.. الفرح يمتزج بالحزن، والضحكة تمتزج بالدمعة.

خرج الشيخ من غرفته. حمل متاع السفر على عجل. تساءل بعض أهله عن الأمر فلم يجب أحداً، كيف له أن يعصي أمر الإمام الكريم، أخذ متاعه، وودع أهله، وتوجه صوب سامراء.

أصبح طريقه أطول بأضعاف من المعتاد. الشوق كان يحرق قلبه، وقدماه تكادان أن تلامسا الأرض من فرط الفرح، وعقله كان في تلك المحلة الصغيرة في سامراء، محلة درب الحصى.

وصل إلى المحلة المنورة بنور آل علي المليئة بشياطين بني العباس الذين يراقبون كل داخل وخارج فيها.

طرق الباب، ففتح له البواب، ورحب به قائلاً "أهلاً وسهلاً بالشيخ أحمد ابن إسحاق" وكأنه كان على موعد مع وصوله.

دخل الشيخ إلى مجلس الدار، وجلس حتى أتى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ورحب به، وجلس قبالته.

لم يستطع الشيخ أن يصبر أكثر، فأراد السؤال عن المولود الكريم، فقاطعه الإمام بابتسامة عذبة، بثت في قلب الشيخ الطمأنينة والسلام، فهدأت نبضات قلبه، ونادى الإمام على الخادمة أن اجلبيه لنا، فأتت الخادمة تحمل بين يديها نوراً ملفوفاً بخرقة، تحمله بحذر، ووضعته في يد أبيه العظيم، فأخذه في حجره، وقبّله، وكشف عن وجه صبي جميل، يحمل أنوار الأنبياء جميعهم ووعودهم، وقال "يا شيخ، هذا صاحبكم، وهو الإمام من بعدي.

نطق الصبي في المهد، وقال "أنا بقية الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، لا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق".

خشع الشيخ، وانهارت جميع عواطفه التي كان . بالكاد . يسيطر عليها. بكى بحرقة. أراد تقبيل قدميه والتبرك بها، إنه الآن إمام الإنسان الإلهي الذي وعد الله به منذ أن خلق الخليقة. الإنسان الذي أعطاه الله من كل الأنبياء شيئاً، فمن يوسف أخذ جمال طلّته، ومن عيسى أخذ نطقه في المهد صبيّاً، ومن موسى ولادته في زمن فرعون وخوف أهله على حياته، وهو في المهد، ومن إبراهيم تحطيم الأصنام، ومن الخضر، ما الذي سوف يأخذه من الخضر؟

فأجاب الإمام السماوي، وكأنه كان يستمع إلى ما كان يجول في خاطر الشيخ، فقال له: "غيبته وطول عمره يا شيخ".

"هل ستطول غيبته يا مولاي؟".

"نعم، والله يا شيخ، ستطول حتى يتراجع عن الإيمان به أكثر القائلين به".

وبعد مضيّ أربعين يوماً على الولادة الميمونة دخلت السيدة حكيمة على أبي محمد (عليه السلام) فإذا مولانا الصاحب يمشي في الدار، فلم ترَ وجهاً أحسن من وجهه، ولا لغة أفصح من لغته، فقال أبو محمد (عليه السلام): "هذا المولود كريم على الله عز وجل،" فقالت: "سيدي أرى من أمره ما أرى، وله أربعون يوماً،" فتبسم، وقال: "يا عمتي أما علمت أننا معاشر الأئمة ننشأ في اليوم ما ينشأ غيرنا في السنة،" فقامت، وقبلت رأسه، وانصرفت، ثم عادت، وتفقدته، فلم تره، فقالت لأبي محمد (عليه السلام) "ما فعل مولانا؟" فقال: "يا عمة استودعناه الذي استودعت أم موسى".

السيدة نرجس ترى بعينيها طفلها السماوي في الدار، تخشى عليه من عيون آثمة في الأرجاء. كم تود لو أن تعلن للناس فرحتها بمولودها، لكن فرحتها كان يملأها خوف وترقب وقلق.

فلو علم وحوش بني العباس بولادة نبوءة محمد النبي لسارعوا لنهشه والقضاء على أمل الشعوب، فهذا الطفل قد كتب له أن يزلزل عروش الطغاة، ويركعهم تحت قدميه.

كانت السيدة نرجس تفكر في هذا الأمر، وما كان يخفف عليها لوعة قلبها هو قلب زوجها العظيم. فهذا الإمام الكريم ذو الثالثة والعشرين ربيعاً قد شاب شعره ولحيته الكريمة، وهو يتحمل أعباء جمة، فهو يجب عليه أن يحمي ولده الكريم من عيون السلطة وسيوف الشياطين وأن يخفيه حتى من أهل داره، وفي الوقت نفسه كانت لديه وظيفة أخرى، وهي أن يوصي بالإمامة من بعده لولده، وأن يشهد

على ذلك نفر من شيعته المقربين. فأنى له فعل الأمرين، الإخفاء أم الإظهار؟

فكرت السيدة نرجس بكل هذا، ودمعت عيناها، وهي تقول بحرقة: "ساعد الله قلبك يا أبا محمد".

نظر لها ولدها الكريم نظرة ملؤها العطف والتسليم لأمر الله، وكأنه علم بما يجول في خاطر أمه الطيبة.

(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)

القصص

في تلك المدة العصيبة تفجرت ثورات العلويين هنا وهناك، ففي الري وفي خراسان اندلعت ثورة للعلويين، وانتصرت في عدة مدن مما انعكس على أن يعمل العباسيون بالقسوة مع الشيعة في البلاد.

لكن كان لاندلاع ثورة الزنوج في البصرة الأثر الأقسى في معاناة شيعة أهل البيت عليهم السلام، فمن جهة كانت هذه الثورة ترتكب الفظائع والمجازر بحق الأبرياء، ومن جهة أخرى ادعى قائد ثورة الزنوج أنه من نسل أهل البيت عليهم السلام ومن نسل علي بن أبي طالب عليه السلام، فعانى ما عاناه شيعة آل علي من بطش السلطة

حتى عيّن رئيس جديد للوزراء، يدعى عبيد الله بن يحيى

فاتخذ هذا الشخص أسلوب مجاملة الشيعة، ورفع السيف عنهم ليثبت دعائم حكمه، فبعث بطلب الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام، فدخل الرجل الإلهي بلحيته السوداء والبيضاء ووجهه الأسمر الذي يشع جمالاً، فقام له رئيس الوزراء احتراماً، وأجلسه إلى جانبه.

كان هدف الإمام عليه السلام من هذه الزيارة هو حفظ دماء شيعته ودرء الخطر عنهم ورفع السيوف عن رقابهم، ونجح عليه السلام في ذلك.

طلب منه رئيس الوزراء أن يحضر الإمام بنفسه لتوديع الجيوش السائرة لقتال ثوار الزنوج، فكان هذا الفعل الدليل الأكبر على براءة أهل البيت عليهم السلام وبراءة شيعتهم من ثورة الزنوج والجرائم التي يرتكبونها، فوافق الإمام على ذلك.

وعندما غادر عليه السلام قام له عبيد الله بن يحيى احتراماً، وودعه.

شاع الخبر في سامراء أن الإمام أبا محمد العسكري عليه السلام سوف يشارك بتوديع الكتائب العسكرية الزاحفة للبصرة.

وهكذا تجمع عدد من محبيه وشيعته لكي يحظوا بنظرة إلى سليل الأنبياء ووقفوا متظاهرين بتوديع الجيش حتى لاح من بعيد موكب الإمام عليه السلام، وكادوا أن يخروا على قدميه، فهذا هو إمامهم، وهو حجة الله على أرضه بقية محمد النبي وعلي الوصي..

وفجأة نظر لهم الإمام بنظرة ملؤها الحب والعطف، ويشوبها الحذر والخوف عليهم، فأشار لهم عليه السلام بإصبعه، فوضعه على فمه علامةً للسكوت.

في هذه اللحظات كانت قلوبهم تنبض باسمه، وعيونهم تغرق في دموع عشقه إلا أنهم لم يستطيعوا فعل شيء.

بداية السفارة

أصبح نشاط الإمام العسكري عليه السلام في غالبه وتواصله مع شيعته عن طريق الكتب والرسائل أو عن طريق الأشخاص الثقات الذين ينوبون عنه.

فهذا الإمام العظيم كان يعمل ليل نهار لكي يمهد لغيبة ولده،

وكان يعمل على أن يعتاد شيعته غيبة إمامهم والتواصل معه بالنواب والسفراء والرسائل؛ لكي يعتادوا على فكرة الارتباط بالإمام الغائب.

في البداية كان الأمر مستغرباً عند بعض الشيعة لكن سرعان ما اعتادوا أسلوب إمامهم الكريم بالتواصل معهم.

أشار الإمام أبو محمد العسكري عليه السلام إلى شيعته أن تواصلوا معي عن طريق وكيله عثمان بن سعيد العمري الذي كان يعمل بتجارة الزيوت.

أما ما كان يعانيه داخل منزله فهو إخفاء ولده الكريم عن عيون أخيه جعفر الذي كان لا يتورع عن تسليم ابن أخيه إلى سيوف السلطة العباسية.

في أحد الأيام كان الصبي الإلهي جالساً في باحة الدار عندما طُرق الباب، فأشار الإمام العسكري إلى ولده أن يدخل إلى حجرةٍ كانت قد خصصت له، ثم أشار الإمام إلى خادمه "ظريف" أن افتح الباب، ففتح الباب، ودخل

جعفر، وعليه آثار اللهو والسهر في الليلة الماضية، فدخل إلى غرفته دون أن ينظر لأحد أو يكلم أحداً، ففكر الخادم ظريف في نفسه، ماذا لو أراد جعفر أن يدخل الحجرة التي دخل بها الصبي الموعود؟

فقطع أفكاره الإمام العسكري، وقال له "ادخل الغرفة، وانظر من بها"،

ففتح ظريف باب الغرفة، ولم يجد بها أحد!! كانت خالية تماماً.

وفي هذا الوقت دخلت السيدة حكيمة إلى الدار، ونظرت إلى ابن أخيها العظيم، وألقت عليه السلام، وبدأت عيناها تبحث في الأرجاء عن الصبي السماوي الذي أصبحت لا تطيق فراقه، فأشار لها الإمام إلى حجرة السيدة نرجس.

دخلت السيدة حكيمة الحجرة، ووجدت السيدة نرجس جالسة، فقبلتها في جبينها، وهي تفكر بمكانة هذه السيدة التي قدر لها أن تنجب مولوداً كريماً على الله عز وجل، ولمحت بطرف عينها الصبي ينظر لها بحبٍّ، فتوجهت له، وضمته بشوق، وشمت به رائحة الجنة وعبير محمد النبي صلى الله عليه واله وسلم وشذى علي الوصي عليه السلام.

وعند خروجها أكد الإمام العسكري عليها "يا عمة اكتمي خبر ولدي، ولا تخبري به أحداً حتى يبلغ الكتاب أجله".

وأذن في الناس بالحج

وفي منتصف عام ٢٥٨ هجرية وصلت إلى سامراء سيدة كريمة، وهي أم الإمام العسكري عليه السلام السيدة سوسن، فكان الشوق يدفع بالسيدة للقاء حفيدها المعجزة.

جلست السيدة سوسن عند ولدها الكريم الذي حف بها، وأكرمها، وكان عليه السلام يعلم ما يموج بقلب أمه الحنون. أحست السيدة بمعاناة ولدها العظيم أبي محمد وحالة ولدها جعفر المريبة، فكان جعفر يتصرف، وكأنه صاحب الدار، وقد أحس بوجود أمر ما رغم أنه لم يعلم أو يشعر بولادة ابن أخيه. فجعفر لا يتوانى عن إبلاغ السلطة العباسية بولادة خليفة أخيه، وقد يتعرض المنزل في أي ليلة إلى الاقتحام.

كان هاجس الإمام العسكري عليه السلام الوحيد هو الحفاظ على حياة ولده. فلا بد من حماية الأمل الأخير للشعوب وبقاء صاحب رسالة الله عز وجل والأنبياء جميعهم، فطلب من والدته أن تتجهز للذهاب إلى الحج وأن تصطحب معها حفيدها الكريم.

قال الإمام لوالدته مودعاً "تصيبني في سنة ستين ومئتين حرارة، أخاف أن أُنكب منها".

دمعت عينا الأم الحنون، واحتضنت ولدها الذي بدا لها كشيخٍ كبير، وهو لم يبلغ الثلاثين بعدُ.

فقال لها عليه السلام: "لا تجزعي يا أماه، فلا بد من وقوع أمر الله".

فالتفت عليه السلام إلى ولده الكريم، وقال له: "الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي أشبه الناس برسول الله خَلقا وخُلقاً، يحفظه الله في غيبته، ويظهر، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً".

ودع الإمام ولده وأمه، وأعطاه سيفاً عظيماً، كان قد ورثه من آبائه، سيفاً لطالما حرص الأئمة على توريثه إلى خلفائهم، إماماً بعد إمام.

وتوجهت قافلة السيدة سوسن مع حفيدها السماوي مع بقية القوافل صوب البيت العتيق على رغم المخاطر من العطش أو الضياع في الصحراء أو الأسوأ من ذلك، وهو الوقوع في كمائن قطاع الطرق، فاحتضنت السيدة سوسن

حفيدها وبقية ولدها الحبيب، وتوكلت على الله، وأكملت المسير.

سجن وكرامة

في الأيام الآتية دُوهم منزل الإمام العسكري، واعتقل مع أخيه جعفر، واقتيدا إلى السجن.

جلس الإمام عليه السلام مع شيعته المعذبين في السجن، واستحال السجن إلى قصر والظلمات إلى نور بوجود ابن رسول الله معهم، بينما كان "ابن نوح" جعفر، الأخ الكاذب والابن العاقّ يجلس في زاوية السجن تارة، وينام تارة أخرى.

بشر الإمام عليه السلام شيعته بيوم خلاصهم، وأخبرهم أن بينهم جاسوساً ينقل إلى الخليفة كل ما يقولونه، فانهالوا عليه، وفتشوه، ووجدوا في ثيابه أوراقاً وتقارير مفصلة خطيرة عنهم.

حل القحط، وكما اقفل باب السجن على ابن رسول الله، اقفلت السماء أبواب المطر على البلاد، وجاع العباد، فخرج الناس للاستسقاء، ولكنهم كثيراً ما صلوا، ودعوا الله دون نزول قطرة واحدة، بل إن السماء كانت صافية، تخلو من السحب.

فخرج راهب نصراني، ومعه جموع النصارى، فرفع يده إلى السماء، فإذا بالغيوم تتجمع، وترعد، ويهطل المطر بغزارة، فشعر المسلمون بالصدمة!

وفي اليوم الآتي حدث الأمر نفسه، حيث صلى المسلمون صلاة الاستسقاء دون حدوث أي أمر، ولكن الراهب النصراني رفع يده مرة أخرى إلى السماء، وأمطرت بغضون دقائق. افتتن الناس، وشكوا بدينهم، وتحول بعض ضعاف الإيمان إلى النصرانية، فخاف الخليفة المعتمد على كرسيه كـ حاكماً للدولة الإسلامية، وأصبح يفتش عن حلٍ لهذه

المعضلة، فلم يفكر كثيراً، فكان يعلم أنه قد أودع سجنه وارث علم الأنبياء، والذي عنده علم الكتاب، فذهب بنفسه إلى السجن، ودخل زنزانة الإمام العسكري، وقال له "يا أبا محمد أدرك أمة جدك".

فأجابه الإمام باطمئنان وهدوء "غداً إن شاء الله أزيل الشك".

وفي اليوم الآتي خرج الإمام إلى مكان استسقاء الراهب، فرفع الراهب يديه كما في المرات السابقة، فتجمعت الغيوم، فصاح الإمام "أمسكوا يده"،

فمسكوا يده، ووجدوه يقبض على قطعة من عظم إنسان، فأخذها الإمام منه، وقال له "استسقِ الآن"،

رفع الراهب يده إلى السماء، ولم يحدث شيءٌ!

فتساءل المعتمد عن ذلك العظم، فقال له الإمام: إن هذا عظم نبي، وما كشف عظم نبي تحت السماء إلا مطرت.

أوصى الإمام بدفن العظم، بينما أمر المعتمد بإعادة الإمام إلى السجن بعد أن شاع خبر كرامة الإمام مع الراهب بين الناس، فشكل ذلك نوعاً من الضغط على المعتمد الذي أرسل بطلب مدير السجن، وسأله كيف تجد أبا محمد؟

فقال السجان له: أجده صائماً في النهار، يصلي في الليل.

فأمر المعتمد بإطلاق سراح الإمام دون جعفر، لكن الإمام رفض ذلك، وقال: "خرجت مع جعفر من دار واحدة، ونعود معاً".

واشترط الإمام إطلاق سراح أصحابه في السجن، فوافق المعتمد على مضض.

(وَيُرِيدُ اللَّـهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)

الأنفال

الشيطان في حضرة الايمان

وفي أحد الأيام وعلى حين غرة انتشر الجنود في جميع زوايا وأركان محلة درب الحصى، وتساءل الناس عما يحدث، وفجأة كان موكب الخليفة العباسي المعتمد يشق طريقه في محلة درب الحصى صوب منزل وارث الأنبياء.

تعجب الناس حيث إن هذه الزيارة المفاجئة لم يقم بها خليفة عباسي من قبل، وتساءل الكثيرون عن سبب هذه الزيارة.

دخل المعتمد إلى دار الإمام، وجلس بين يدي الإمام كما يجلس التلميذ في حضرة أستاذه.

كان المعتمد يخشى زوال ملكه وسقوط حكومته، فقال له بلهجة المتوسل: "يا ابن رسول الله، ادعَ الله أن يطيل في عمري، فأبقى في الحكم عشرين عاماً"،

صمت الإمام لدقائق قليلة كأنه يتلقى همسات ربانية في أذنه، والنور والوقار يحيطان به، فيشير الإمام إلى طفل صغير في حضرته،

فقال الإمام "مد الله في عمرك"،

تبسم المعتمد بعد ما سمع بقية الله وابن نبيه وقد دعا له، وغادر دار الإمام

رحيل السلام

عادت السيدة سوسن من الحج، ومعها الصبي خاتم الأوصياء، ودخلوا الدار ليلاً، وشاءت الأقدار أن يعود جعفرٌ من ليلة طربٍ ولهو، وقد أحس بوجود ابن أخيه المبارك، ففكر في نفسه أن يخبر المعتمد عن وجود الصبي، ويتقرب بذلك من الخليفة، وربما يَقتل الخليفة أخاه الإمام وابنه، ويصبح هو إمام الشيعة.

ودون أي مقدمات شعر الإمام العسكري بحالةٍ من الضعفِ والوهن وحرارةٍ تغزو جسده الشريف، كل ذلك نخر عظامه وجسده ذا الثماني والعشرين عاماً، وبصورة مفاجئة أصبح الإمام طريح الفراش، وتساءل شيعته إن كان قد دُسَّ السمُّ

له، فها هو ابن الثامنة والعشرين ربيعاً قد أصابه ما يصيب الشيوخ الطاعنين بالسن من ضعفٍ ووهنٍ.

ومن غير العادة طلب الخليفة من مجموعةٍ من رجال القصر أن يذهبوا إلى بيت الإمام، وفيهم من النواصب الذين يضمرون الحقد والبغضاء للإمام وآل بيت الرسول.

وأصبح رجال البلاط في دار الإمام يراقبون كل صغيرة وكبيرة، والإمام طريح الفراش، لا يقوى على شيء.

هل شكّوا بوجود الصبي؟ أو هم هنا للتأكد من التخلص من الإمام العسكري.

وهناك همسات تُسمع في أروقة القصر عن ولادة الصبي المهدي.!

وقد مرت ثلاثة أيام وحالة الإمام أصبحت أسوأ من السابق، فسارع المعتمد إلى إرسال أطباء إلى بيت الإمام، وبعد أن

تفحصوا جسد الإمام الذي أنهكته الحمى، ولم تترك في جسده الطاهر أي حياة نظر الأطباء بعضهم إلى بعض، وكان تشخيصهم واحداً.

لقد سُقي الإمام السم، وهذا الأمر واضح.

أصر المعتمد على بقاء الأطباء في دار الإمام، وبعث أيضاً قضاة، من بينهم ابن خاقان قاضي القضاة وبعض رجال المعتمد ورئيس السجن، وأصبحت الدار المباركة تموج بعيون شيطانية تقدح حقداً على أهل الدار، وتراقب كل شيء، وتبحث عن صبي قيل: إنه قد ولد، وإنه وريث أبيه.

كان الدار قد استحال إلى دار خلافة أو ثكنة مصغرة، يشوبه التوتر والخوف والقلق، فها هو الإمام طريح الفراش، لا يقوى على شيء، والسيدة نرجس حبيسة غرفة أخرى،

وجعفر يمشي في الدار، ولا يستطيع إخفاء سعادته بكونه سوف يرث أخاه قريباً، ولا أحد يعلم مكان الصبي الذي تهامس الجواسيس عن وجوده.

تساءل رجال الشيعة عن الإمام الذي بعد الإمام العسكري؟ هل له ولد يخلفه؟ أو أن الإمامة سوف تصبح من نصيب جعفر؟!

في حجرة الإمام حيث يرقد بقية آل محمد يذوب كشمعة في الظلام طلب الإمام ماء مغلياً، فجاءت السيدة نرجس بالماء، وهي ترى زوجها، وهو يرحل ببطء عن هذا العالم، وسوف تغدو وحيدة بين الوحوش بعده.

دخل صبي الرسالات السماوية على حجرة أبيه، فجلس عنده، وفي عينيه دموع تتجمع كغيوم ملبدة في السماء، لكنّ الإمام العسكري كان أشد حزناً على ابنه، فهو يرى

ما سيوجهه ابنه الإمام الأخير الوحيد وما سيفعل به الزمن المرير.

قرّب الإمام العسكري ولده منه، وهمس له "بني، حبيبي، أنت صاحب الزمان، أنت المهدي الذي بشر به الرسول، وأخبر باسمك، وهذا عهد آبائي قد جاء. يا بني سوف تواجهك المحن، يا بشارة الأنبياء. وسوف تطاردك رياح الزمهرير كفراشة جاءت تبشر بالدفء. يا بني، إن الله عز وجل لم يكن يخلي أرضه بلا حجة. يا بني أوصيك بلزوم خوافي الأرض وتتبع أقاصيها. اسكن البراري البعيدة والجبال الوعرة، وليحرسك الله يا بني".

بكت السيدة نرجس بحرقة، وهي ترى زوجها العظيم يذوب، وابنها تبحث عنه أنياب الذئاب لتمزقه.

أخذ الإمام العسكري أنفاسه الأخيرة، وأغمض عينيه المنيرتين، وتوقف القلب الذي كان ينبض للعالم كله، وابتسم، وهو يسلم روحة الطاهرة إلى ملكوت السماوات، ويرحل.

أخذت السيدة نرجس بيد ولدها، وهي تبكي، وخرجت بهدوء من الغرفة.

عام ٨٧٤ رحل الذي كان للأرض غيثاً، وللناس ملجأ، فقد أعلن عن وفاة الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام الإمام الحادي عشر عند الشيعة.

الكذاب

استيقظ جعفر على صوت البكاء والعويل في الدار وخارج الدار. أسرع خارج غرفته، وتوقف في باب الدار ليستقبل التعازي. كان يريد أن يصدر نفسه في الواجهة على أنه خليفة أخيه الراحل وإمام الشيعة الجديد، فأخوه قد رحل، ولم يترك إماماً بعده، ولكنه تذكر الهمسات عن وجود صبي مبارك لأخيه الراحل؟ حاول تناسي الأمر، وأصبح يتلقى التعازي، ويتظاهر بالحزن، وتخيل نفسه أنه إمام الآلاف من الشيعة وأن الأموال سوف تجري في داره من كل حدب وصوب.

دخل أحد كبار الشيعة إلى الدار، ورأى جعفراً واقفاً، فقال في نفسه: إذا كان الإمام الجديد هو هذا فقد بطلت الإمامة.

وبينما هو كذلك فإذا به يرى وكيل الإمام العسكري عثمان بن سعيد يغرق في حزن عميق، وتذكّر قول الإمام العسكري عليه السلام أن ارجعوا إلى عثمان، فكلامه كلامي، وهو وكيلي، وابنه وكيل ابني مهديكم.

انتهى عثمان من تجهيز الجثمان الطاهر للصلاة عليه، وانتبه جعفر لذلك، فتوجه نحو الجثمان الذي لم يقترب منه طيلة الصباح، ولكن الآن أصبح واجباً أن يذهب ناحيته ليصلي عليه، فهو يعلم أن عند الشيعة قاعدة، وهي أنه لا يصلي على إمام معصوم إلا إمام معصوم، وبذلك سيُثبت إمامته أمام الناس.

وقف جعفر أمام جسد الإمام العظيم، واصطف المصلون خلفه. رفع يديه ليكبر، وفجأة امتدت يدٌ لصبيٍّ، وامسك بردائه، وجذبه للخلف، وقال "تأخر يا عم، فأنا أحق بالصلاة على أبي".

ذُهل جعفر، وارتعدت فرائصه، واصفرّ وجهه، ولم يستطع أن يجيب، وتراجعت قدماه إلى الخلف رغماً عنه، وتأخر.

وقف الصبي الطاهر ليصلي على جثمان أبيه العظيم، والناس من خلفه تصلي، تذكّرَ الناس قول الإمام العسكري عندما قال "إن الذي سيصلي عليَّ هو الإمام".

وها هو إمامهم الثاني عشر. ها هي نبوءة الأنبياء أمامهم.

أتم الصبي الصلاة، والتفت إلى كبار رجالات الشيعة خلفه، وقال "هاتوا الكتب التي معكم".

فسلم الرجال مجموعة من الرسائل إليه، فحملها، ونهض، وغاب خلف الستار.

تقدم رجل إلى جعفر، وسأله: من الصبي؟. فرد جعفر قائلاً: والله لا أعرفه، ولم أرَه من قبلُ. ضحك الرجل، وتساءل: أي إمام مزيف هذا الذي لا يعرف ابن أخيه.

حُمل نعش الإمام، وضج الناس بالعويل والبكاء، فقد رحل ملجأهم، والقلب الذي كان يحتويهم كلهم.

وُضع النعش الطاهر في باحة المسجد، وتقدم رجالٌ من بلاط الخليفة وممثليه، وكشفوا عن وجه الإمام الراحل، ورأوه، وكأنه يغط في نوم وسكينة وسلام، وقد أضاء نور وجهه المسجد.

وقال مبعوث المعتمد بحضور الناس: هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا، مات حتف أنفه على فراشه،

وبحضور الثقات فلان وفلان وقاضي القضاة وفلان وفلان ورجال البلاط الذين أمضوا آخر ليلة في بيت الإمام لأسباب غامضة، وكلهم يشهدون على ذلك، ثم غطي وجهه الشريف، واقيمت الصلاة مرة أخرى ليحمل إلى داره في درب الحصى مرة أخرى ليوارى الثرى شهيداً مظلوماً في داره إلى جانب قبر والده الإمام علي الهادي.

جلست السيدة نرجس مع أم الحسن التي كانت تبكي بشدة، في حين كانت السيدة نرجس تخالجها مشاعر مختلطة، حزن شديد على فقيدها زوجها الراحل، وخوف أشد على ولدها ومصيره.

أما جعفر فكان مشغولاً بالتحضير لتنصيب نفسه زعيماً للبيت العلوي، فها هو يتظاهر بأنه الإمام بعد أخيه، ويطالب الناس بالاعتراف به.

وصل بعضٌ من كبار الشيعة من مدينة قم، ومعهم الحقوق الشرعية التي يجب أن يسلموها إلى الإمام أو وكيله مع بعض الكتب والرسائل.

وما أن دخلوا دار الإمام الراحل حتى طار جعفر من الفرح، وبدأ بمصافحتهم والتظاهر بالورع والحزن على أخيه.

تساءل بعضهم: هل هو الإمام حقاً أو ... أ يعقل أن يكون جعفر شارب الخمر الضارب بالدف. لا والله.

فقال أحدهم: دعنا نختبره.

فسألوا جعفر: كم المبلغ الذي معنا؟

استغرب من سؤالهم، وقال بحنق: "كيف لي أن أعلم؟"

أجابه الرجل: "أن أخاك كان يطلعنا على جميع المبالغ التي معنا بالضبط، كم هي؟ قبل أن نخبره بها".

صاح جعفر: "كذبت. لا يعلم الغيب إلا الله".

نظر الرجال بعضهم إلى بعض، وهموا بالخروج، فحاول جعفر أن يغير رأيهم، لكنهم أصروا، وقالوا: "إننا عادتنا مع أخيك أن لا نعطيه الأموال ولا الكتب إلا عندما يخبرنا بقيمة الأموال وممن الكتب؟".

كان شعور الخيبة يجتاحهم. فهل فعلاً هذا خليفة إمام؟ لا، مستحيل. هل توقفت الإمامة إذاً؟

بعضهم كان قد سمع بولادة صبي للحسن العسكري، لكنها ليست أكثر من همسات.

خرج جعفر متوجهاً إلى قصر الخلافة، وهو يشتعل غضباً.

وبينما الرجال جالسون في دار الإمام الراحل دخل عليهم صبي يرتدي زي الخدم، وقف أمام الرجال، وقال "معكم كتب فلان وفلان وألف دينار، عشرة منها مطلية بالذهب".

نظر الرجال بعضهم إلى بعض، وعلموا أنه مبعوث الإمام، فسلموا له الكتب والأموال، وانصرفوا.

ذبول النرجس

لم تمض أيام قليلة حتى أحاطت الذئاب البشرية بالسيدة نرجس، واعتقلوها وأُخذت للسجن دون ذنب، وأنكرت ولدها حفاظاً على حياته. أمر الخليفة أن تُعتقل السيدة نرجس في بيت قاضي القضاة في سامراء لتكون تحت الرقابة، فقد تكون حاملاً، أو قد يحاول ابنها الاتصال بها، ولكن لا شيء.

بقيت في السجن لا ذنب لها سوى انها زوجة الامام الراحل ولشكهم انها قد تكون ام ولده.

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّـهُ مُتِمُّ نُورِهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)

الصف

الكذاب مرة اخرى

وبعد أيامٍ وصل وفد آخر من الشمال الإيراني لزيارة الإمام العسكري عليه السلام، وكانوا لا يعلمون باستشهاده، فعندما سألوا عنه، وعرفوا بخبره قال بعضهم: لنعد أدراجنا. وقال الآخرون: لنرَ مَن خليفته، فجاءهم الجواب: أنه جعفر،

فبحثوا عنه حتى وجدوه في قارب في النهر، يلهو، ويكرع كؤوس الخمر، فأُصيبوا بخيبة أملٍ كبيرة.

كان القمر محجوباً بالغيوم تلك الليلة، ورياحٌ بارده تعصف بالمدينة. والرجال ينتظرون جعفراً ليفرغ من سهرته حتى انتهى، وجاء لهم، فقال أحدهم:

يا سيدنا نحن من الشيعة، وجئنا أخاك بأموالٍ ورسائل،

فأصبح جعفر مهتماً لهم أكثر بعدما سمع بالأموال، وقال "حسناً، إذاً هاتوا ما عندكم"،

قال أحدهم: "لا"،

"إن لهذه الأموال قصة طريفة"،

"وما هي"

"إن هذه الأموال تجمع من كافة الشيعة، الدينار بعد الدينار، ثم يجعلونها في كيس، ويختمون عليه حتى إذا جئنا بالمال إلى سيدنا أبي محمد، يقول لنا: إن جملة المال كذا وكذا ديناراً من عند فلان وكذا من عند فلان ... حتى يأتي على أسماء الناس كلهم، ويذكر ما على الخواتيم من نقش".

ذهل جعفر، وغضب، وأدرك أن هذا اختبار له ولإمامته المزعومة، وصاح "كذبتم، تقولون على أخي ما لا يفعل.. هذا علم الغيب، ولا يعلمه إلا الله".

نظر الرجال بعضهم إلى بعض، وكانت نظراتهم ذات مغزى، وهموا بالرحيل، فصاح جعفر بفظاظة: "احملوا المال إليّ"،

فأجابه أحدهم "إنّا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب المال، ولا نسلم المال إلا بالعلامات التي كنا نعرفها من سيدنا الحسن، فإن كنت الإمام فبرهن لنا ذلك، وإلا رددنا المال إلى أصحابه".

غضب جعفر، وزمجر، ونهض بوقاحة، وتوجه صوب قصر الخلافة مرة أخرى، ونتج عن ذلك إلقاء القبض على

رجال الوفد، وسيقوا إلى بلاط الخليفة، فقال لهم: "احملوا هذا المال إلى جعفر"،

قال رجل من الوفد:

"إنا قوم مستأجرون وكلاء لأرباب المال، وهذه الأموال هي أمانة، ولا نسلم المال إلا بالعلامات التي كنا نعرفها من سيدنا الحسن، وهكذا جرت العادة"،

فقال الخليفة بفضول "فما كانت العلامة التي كانت لكم مع أبي محمد؟"

أجاب الرجل "كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والأموال كما هي، فإذا فعل جعفر ذلك سلمناها إليه.. وإلا رددنا الأمانة لأصحابها"،

صاح جعفر: "يا أمير المؤمنين إن هؤلاء كذابون، يكذبون على أخي، وهذا علم الغيب"،

قال الخليفة، وقد تعب من ألاعيب جعفر: "هؤلاء القوم رسل، وما على الرسول إلا البلاغ المبين"،

شعر جعفر بالخيبة، وهو يشاهد الرجال يخرجون مع أمتعتهم من القصر، وهم يرددون جملة "الكذاب ... جعفر الكذاب".

توسل جعفر برئيس الوزراء، وقال "اجعلني إماماً على الشيعة، وسوف أعطيك في كل عام عشرين ألف دينار"،

نظر رئيس الوزراء إلى جعفر، وفكر في نفسه: أ يعقل أن هذا المهرج الكذاب أخو أبي محمد الحسن؟ شتان بين الاثنين،

فقال له "يا أحمق إن الخليفة جرد سيفه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة ليردهم عن ذلك، فلم يستطع. فإن

كنت عند شيعة ابيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى السلطان لينصبك إماماً".

كان الرجال يشعرون بالحسرة، فهل يعقل أن الإمامة توقفت.؟! أين بشارة النبي بالإمام الثاني عشر؟ هل ولد؟ أو قتل؟

وبينما هم غارقون بأفكارهم سمعوا صوتاً ينادي عليهم من بعيد: يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أجيبوا مولاكم، قالوا بدهشة "أنت مولانا؟؟"

أجاب الفتى "معاذ الله أنا عبد مولاكم، فسيروا إليه. فقادهم الفتى في طريق حتى انتهوا إلى منزلٍ، وعندما دخلوا حجرة المنزل وجدوا فتى أسمر البشرة، ينير وجهه بنور الأنبياء، وتفوح منه عطور الجنان، وعلى خده الأيمن خال، وعليه

ثوب أخضر، فحيوه بأدب، وجلسوا عند قدميه كالأطفال الذين يجلسون بين يدي معلمهم.

ابتسم عليه السلام لهم، وقال: "جملة المال الذي معكم كذا وكذا، حمل فلان كذا وفلان كذا، وأخبرهم بجميع تفاصيل ما معهم، بل حتى وصف طريقهم والدواب التي حملتهم."

خر الرجال ساجدين شكراً لله الذي أنعم عليهم برؤية إمامهم صاحب الزمان،

فحملوا إليه الأموال والرسائل، وأمرهم الإمام المهدي عليه السلام أن لا يقدموا مرة اخرى إلى سامراء، وأنه سيعين وكيلاً له في مدنهم، وكانت هذه نقطة بداية الوكلاء والسفارة.

فالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ومنذ البداية حث شيعته على التواصل مع وكلائه الثقات وسفرائه المعينين

من قبله متحدياً عيون الجواسيس وسيوف بني العباس وأنياب الوحوش التي تفتش عنه ليل نهار.

مرت مدة عصيبة، ومرضت السيدة سوسن أم الحسن عليهما السلام، وفي لحظات احتضارها طلبت أن تدفن في دار الحسن إلى جانب الإمامين زوجها وابنها عليهما السلام.

فصرخ جعفر معلناً موقف النذالة ورافضاً "هي داري، لا تدفن فيها،"

وبينما هو كذلك جاءه صوت علوي غاضب "يا جعفر دارك هي؟؟"!

لحظات وجعفر يريد أن يستوعب أنه أمام ابن أخيه ابن الإمام الحسن العسكري، فأراد الإمساك بالصبي، ولكنه توارى بين الناس.

(حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا
جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ)

يوسف

شعاع الشمس الأول

نقل الإمام الغائب نشاطاته وسفيره عثمان بن سعيد تاجر الزيوت إلى بغداد؛ لكونها مدينة كبيرة مزدحمة، يصعب على جواسيس السلطة مراقبة كل شيء، ومن هناك بدأ الرجل الطاهر بوظيفته الشاقة، فقد كان وكيل الإمام علي الهادي، وبعدها أصبح وكيل الإمام الحسن العسكري وها هو اليوم يصبح أول سفير للإمام المهدي الغائب عليهم السلام جميعا.

أي رجل مبارك هو، لقد كانت السفارة أشد وأكثر صعوبة في هذه الأوقات الحساسة، فأصبح تواصل الإمام مع أوساط شيعته فقط من خلال السفير، وأصدر الإمام تعليماته مختومة بختمه، وقد منع منعاً باتاً ذكر اسمه في

المجالس، وكانت مثل هذه التعليمات من شأنها الحفاظ على حياة الإمام وسرية وجوده وحقن دماء شيعته، فالسلطة الحاكمة لم توفر جهداً في البحث عن الرجل الذي سوف يزيل حكمهم إلى الأبد.

مرت السنون حتى مرض الرجل المبارك، فأوصى لثقاة الشيعة أن يحضروا عنده، ثم أمر ابنه أن يأتيه بصندوق خشب صغير، وفتحه، وأخرج منه رسالة مختومة بختم الإمام المهدي الغائب عليه السلام، فقال الشيخ المبارك لابنه: اقرأها يا بني لتكون حجة على الشاهد ودليلاً على الغائب

وراح الفتى يقرأ الكلمات الإلهية "بسم الله الرحمن الرحيم. عافانا الله وإياكم من الضلالة والفتن. ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب. إنه أنهي إليّ ارتياب جماعة في الدين، وما دخلهم من الشك في

ولاة أمرهم، فغمنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا؛ لأن الله معنا، ولا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا، فلن يوحشنا من بَعُدَ عنا.

يا هؤلاء ما لكم في الريب تترددون، وفي الحيرة تتنكسون؟

أوما سمعتم الله عزّ وجل يقول: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم)؟

أ وما علمتم بما جاءت به الآثار عمّا يكون، ويحدث في أئمتكم على الماضين والباقين منهم؟

أ وما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها؟ وأعلاماً تهتدون بها من لدن آدم إلى أن ظهر الماضي ... كلما غاب علمٌ بدا علم، وإذا أفل نجم بدا نجم؟ فلما قبضه الله إليه ظننتم أن الله أبطل دينه، وقطع السبب بينه وبين

خلقه؟! كلا ما كان ذلك، ولا يكون حتى تقوم الساعة، ويظهر أمر الله، وهم كارهون."

صغت آذان الحضور بإجلال لكلمات خاتم الأوصياء، وأجابت جوارحهم "سمعاً وطاعة يا بقية الله".

وأيقنوا أنهم أمام أوامر إمامهم السماوي وأن أمرهم بيده الكريم، فقال أحدهم للشيخ المبارك: "يا سيدي ومن يخلفك من بعدك؟ "

ابتسم الشيخ، وقال "ولدي هذا هو سفير ووكيل إمامكم من بعدي" وأشار إلى ولده محمد،

فقال له أحد الحضور : "أنت اخترته؟"

"بل حجة الله من اختاره"

ودّع الرجال الشيخ المبارك، وخرجوا إلى حال سبيلهم بعد ما شهدوا تعيين السفير الثاني بأمر الإمام صاحب الزمان.

وفي تلك الليلة عرجت روح الشيخ الطاهرة عثمان بن سعيد إلى السماء بعد أن أمضى سنين طويلة بخدمة آل بيت محمد صلى الله عليهم أجمعين، وأدى الأمانة بخدمة الإمام علي الهادي وولده من بعده الإمام الحسن العسكري، واختتم حياته المباركة بخدمة خاتم الأوصياء ومحقق حلم الأنبياء بقية الله المهدي عليهم السلام جميعاً.

وترك أثراً طيباً في نفوس الشيعة، وتأثر سائر الناس برحيله، وتلقى ولده رسالة عزاء من الإمام المهدي مختومة بختمه الشريف، فحواها بلسم يداوي الجروح "إنا لله وإنا إليه راجعون... تسليماً لأمره ورضاء بقضائه،

عاش أبوك سعيداً، ومات حميداً،

فرحمه الله، وألحقه بأوليائه ومواليه،

فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل،

نضر الله وجهه، وأقال عثرته. أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء. رزئت، ورزئنا، وأوحشك، وأوحشنا، فسره الله في منقلبه. كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه."

شعاع الشمس الثاني

ألقت السفارة بأحمالها الثقيلة الخطرة على كاهل السفير الثاني محمد بن عثمان، فأصبح الخيط الرابط بين الإمام وشيعته من عامة الناس والفقراء في جو مشحون بالمخاطر والدسائس السياسية والاجتماعية، والسيف العباسى يبحث هنا وهناك عن دماء علوية جديدة لسفكها.

أما الحالة السياسية فكانت ما بين الدسائس والاغتيالات التي يتبادلها صبيان بني العباس في ما بينهم بإشارات وتحريك من قبل الأتراك الذين باتوا يسيطرون على جميع مقدرات الخلافة الإسلامية، فأصبح صبيان بني العباس مجرد دمى خاوية بأيدي الضباط الأتراك،

فالمعارك مستمرة في البصرة وأطرافها لإخماد ثورة الزنوج، ولم يسلم من الحروب شيءٌ حتى أن الأعراب استغلوا ضعف العباسيين وانشغال جيوشهم، وباتوا يهاجمون قوافل الحجيج، ويسلبونها.

مائدة الجنة

وكان بين هذه القوافل عيسى الجوهري الذي حث الخطى لأداء فريضة الحج، ولكن ما كان يجول في أعماق قلب هذا الرجل هو أبعد من الحج. فقد تناقلت الهمسات بين أوساط شيعة آل محمد أن إمامهم الثاني عشر الغائب عليه السلام يذهب إلى الحج في كل عام، ويمكث هناك.

لم تفارق هذه الفكرة مخيلة عيسى، وهو يحلم باللقاء، كان يطوف حول الكعبة، وقلبه يطوف حول الحجاج، يبحث فيهم، يتصفح وجوههم، يبحث عن وجه فيه نور محمد خاتم الأنبياء ورائحة علي اخر الأوصياء.

اتجه صوب المدينة وعند هضاب فيد اشتكى من وعكة، بسيطة اشتهى فيها تناول السمك والتمر.

وصل الجوهري إلى المدينة، وسمع صوتاً يخبره أنِ اذهب إلى وادي (صابر).

لم يتردد أو يفكر، بل انطلقت قدماه تطوي المسافات بشوق، وقلبه ينبض بلهفة حتى وصل وادياً كبيراً، وفي أطراف الوادي منزل صغير تحط فوقه الطيور، وتحوم حوله بعض العنيزات.

ما إن وصل المنزل حتى رأى شخصاً كان يعرفه جيداً، إنه بدر الخادم الذي كان قد رآه قبل أعوام عند حضوره جنازة الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

ابتسم الخادم، وقال له: "يا عيسى الجوهري ادخل،"

لم يدخل الرجل على أقدامه بل كان يكاد أن يطير فرحاً وعند أول دخوله استقبله عبق من الجنة، كان يشمه في حجرة الإمام العسكري عندما كان يجلس بين يديه،

جلس في الحجرة والثواني تمر عليه مثل الساعات، حتى فتح الباب، ودخل بدر الخادم، وهو يحمل الطعام، وقال له: "مولاك يأمرك أن تأكل ما اشتهيت في علتك، وانت خارج من فيد،

فقال عيسى، وقلبه يعتصره الشوق "حسبي بهذا برهاناً، كيف آكل وأنا لم أرَ سيدي.

فجاءه الجواب من صوت يبعث الأمل والسرور في القلوب: "يا عيسى كل من طعامك، فإنك سوف تراني.

أكل الرجل الطيب من مائدة أعدتها الملائكة في السماء، وجاءت بها إلى بقية الله،

قال في نفسه: إنه لم يأكل ألذ ولا أطيب من هذا الطعام في حياته. فأصبح يأكل، ويأكل، وهو يشعر بالاستغراب

من نفسه والخجل لكثرة الأكل، لكن الطعام كان ألذ مما يستطيع الإنسان وصفه.

فجاءه الصوت الكريم "لا تستح يا عيسى، فإنه من طعام الجنة، لم تصنعه يد مخلوق.

فانتهى عيسى من الأكل، وحمد الله، وشكره، وقام ليبحث عن إبريق ماء لغسل يديه من الطعام،

فهتف به الإمام: "أقبل يا عيسى،"

قال عيسى: "حتى أغسل يداي يا مولاي،"

قال له الإمام "وهل لما أكلت غمر؟"

شم عيسى يديه، وتعجب أن يديه تفوح برائحة المسك لا السمك،

فتقدم الرجل المحظوظ صوب حجرةٍ يملأها النور، ورأى الإمام جالساً، كان فتى أسمر البشرة، على خده الأيمن خال، يرتدي ثياباً خضراً، ويجلس على سرير، وله هالة وهيبة، تخشع القلوب بين يديه، وتخضع الجوارح، وتدمع العيون عند رؤيته.

قال الفتى العلوي الإمام الغائب "يا عيسى ما كان لك أن تراني لولا المكذبون القائلون: أين هو؟ ومتى كان؟ وأين ولد؟ ومن رآه؟ وما الذي خرج إليكم منه؟ وبأي شيء نبأكم؟ يا عيسى أخبر أولياءنا بما رأيت، وإياك أن تخبر عدونا،"

قال عيسى بخشوع: يا مولاي ادع لي بالثبات،

قال الإمام "لو لم يثبتك الله ما رأيتني... يا عيسى امض راشداً

ونهض عيسى، وشعوره لا يوصف، فهو لم يأكل فقط من طعام الجنة، بل وشم رائحتها، وجلس بين يدي الإمام وفي حضرته. وقد ملأه اليقين أن الإمام المهدي حقيقة عظمى وآية كبرى من آيات الله عز وجل.

الملعونون

لكن لم يكن كل رجال الشيعة على هذا الثبات واليقين من أمر إمامهم، فقد عصفت الفتن بقلوبهم وأذهانهم، ثبت بعضهم، واهتز، وسقط آخرون، أمثال أحمد بن هلال العبرتائي، والذي صدر بحقه توقيع من الإمام المهدي يذمه، ويتبرأ منه، فبدأ الهمس يطوف حول آذان الشيعة عما فعله ابن هلال، هل كان يتمنى أن يكون السفير الثاني بعد عثمان؟ هل خالف تعليمات الإمام عليه السلام؟ هل أفشى سراً؟

فاجتمع رجال من الشيعة عند السفير الثاني محمد بن عثمان، وطلبوا منه أن يبعث سؤالاً للإمام حول مسألة ابن هلال، فجاء الجواب موقعاً بتوقيع الإمام عليه السلام:

أما بعد فقد كان من أمرنا الذي نفذ إليك في المتصنع ابن هلال لا رحمه الله

بما قد علمت، ولم يزل . لا غفر الله له ذنبه ولا أقاله عثرته . يداخل في أمرنا بلا إذن منا ولا رضى. يستبد برأيه. لا يُمضي من أمرنا إياه إلا بما يهواه، ويريد، أرداه الله بذلك في نار جهنم.

فصبرنا عليه حتى بتر الله عمره بدعوتنا، وكنا قد عرفنا خبره قوماً من موالينا في أيامه الأخيرة . لا رحمه الله . وأمرناهم بإلقاء ذلك إلى الخاص من موالينا، ونحن نبرأ إلى الله من ابن هلال . لا رحمه الله . وممن لا يبرأ منه،

فكفى الله الشيعة شر هذه الفتنة، وصغت القلوب إلى كلام بقية الله عليه السلام.

استمر الإمام الغائب عليه السلام بالتواصل مع خواص شيعته بوساطة سفيره الثاني محمد بن عثمان الذي كان يعمل ليل نهار على إيصال صوت الإمام الغائب إلى الناس ودفع حقوقهم لهم على رغم كل المصاعب التي تواجهه من عيون الجواسيس وسيوف الظالمين، ولكن أشد ما يوجع قلب السفير الكريم هو الفتن التي تموج من داخل أوساط الشيعة، فيرى البعض أن لا إمام لهم، ويرى الآخر أن محمداً ليس من أمر السفارة بشيء، مثل فتنة محمد بن علي بن بلال الذي رفض الاعتراف بسفارة محمد بن عثمان بحجج واهية، و أيده بعض رجال الشيعة بذلك، فامتنع عن حمل الأموال والحقوق إلى السفير مما دفع بالسفير محمداً أن يتوسط للقاءٍ بين ابن بلال والإمام المهدي عليه السلام الذي شهد بسفارة محمد بن عثمان، وأمره بتسليم أموال الحقوق إليه،

لكنه أصر على رأيه، وامتنع عن تسليم الحقوق، وبينما هو جالس في مجلسه مع بعض مؤيديه إذ دخل عليه محمد بن عثمان، فقام له الحضور احتراماً، وفسح ابن بلال له في صدر المجلس، وفي هذا إشاره واعتراف مبطن لسفارته، والجميع يترقب ما عنده،

فقال السفير الثاني محمد بن عثمان "يا أبا طاهر، أنشدتك الله أ لم يأمرك صاحب الزمان بحمل ما عندك من المال إلي؟"

قال ابن بلال مستسلماً. "بلى والله،"

فدهش الحاضرون من الجواب، وهم يسمعون اعترافه الصريح بسفارته ووكالته، فنهض السفير بعد أن ألقى الحجة عليه، وأشهد على ذلك الحاضرين.

كان من الخطورة أن يكون المرء شيعياً موالياً لآل بيت رسول الله في زمن العباسيين، فلك أن تتخيل خطورة أن تكون سفيراً ووكيلاً لبقية آل رسول الله عليهم أفضل الصلاة والسلام، لكن محمداً ضحى براحته وأمنه وكل شيء في سبيل مولاه ومولى البشر الإمام الغائب عليه السلام وأداء وظيفته السماوية المقدسة.

(وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ
يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ)

ق

وفي عام ٢٧١ هجرية وصل إلى كرسي الخلافة السفاح المعتضد والذي عُرف بحبه لسفك الدماء وتلذذه بتعذيب ضحاياه واستخدام طرق جديدة لذلك،

فقد ألقت ذئاب المعتضد القبضَ على مجموعة من الشيعة، وجدوا عندهم كتباً وأرواقاً باسم الإمام الغائب، فسيقوا جميعاً إلى قصر المعتضد،

وهناك جرى تحقيق مطول معهم، لم يفضِ إلى نتيجة، فأمر المعتضد أن يعدموا جميعهم، فيما أبقى على كبيرهم، وأراد إغراءه بالمال ليكشف له من هو الغائب؟ فرفض الرجل الشيعي، فتوعده المعتضد بصب أشد أنواع العذاب عليه، فقال الرجل المؤمن "والله لو شويتني على النار فلن

أقول لك شيئاً، أ تريدني أن أدلك على رجل أعتقد بإمامته، وأدعو الناس إلى طاعته؟"

فقال المعتضد بغضب: "والله لأشوينك بالنار كما تشوى الذبائح،"

فأمر كلابه أن يجهزوا لشيّ الإنسان، وأصبحوا يقلبون جسد الرجل الصالح فوق النار، ويشاهدون لحمه البشري يُشوى، ويُحمَّر، وهم يتلذذون، ويكرعون كؤوس الخمر حتى احترق جسده ببطء، ولفظ أنفاسه الأخيرة صابراً محتسباً كاتماً سر إمامه مطيعاً له.

لكن هذه الحادثة تركت أثراً عميقاً في نفس وفكر المعتضد، فهو الآن امام رجل علوي وله اتباع مستعدين ان يضحوا بأنفسهم من اجله

من هذا الغائب يا ترى؟

أرسل بكلابه تشم رائحة الرجل الغائب هنا وهناك. لم يرجعوا بشيء يذكر سوى بضع همسات عن ألقابه التي يطلقها الناس عليه: الإمام الغائب. صاحب الزمان. الحجة. البقية. الغريم. المنتقم. .

المنتقم ممن؟ غريم من؟ إنه الآن أمام عدو ليس بالسهل، فهو يأمر رجاله بعصبية، ويزعق بهم هنا وهناك لكي يأتوا ولو باسم هذا الغريم،

فجاءه رئيس وزرائه بقائمة تضم أسماء رجال الشيعة الذين يرسلون الأموال والحقوق إلى رجل علوي مجهول، وتحركت الشبهات والشكوك صوب منزل الإمام الحسن العسكري في محلة درب الحصى في سامراء.

فكر المعتضد: هل يعقل أن هذا العلوي المجهول هو المهدي المزعوم ابن الحسن العسكري الذي كان يشك بوجوده؟

أصبحت الأحجية تتشكل في ذهنه، وهو يقوم بربط القطع مع بعضها، إذاً لا شك أنه ابن الحسن الذي شاعت ولادته، لكن لم يره أحد على الأقل من جواسيس بني العباس.

لكن كيف له أن يمسك بضوء أو دخان؟

فكر قليلاً، وقرر تشديد الرقابة على رجال الشيعة الذين كان يشك بهم كونهم وكلاء المهدي، لكنه لم يحصل على أي معلومات تذكر منهم.

في إحدى الليالي حصل المعتضد على معلومات مؤكدة أن المهدي يقيم في منزل والده العسكري في محلة درب الحصى في سامراء.

فقرر المعتضد أن يحسم الأمر وبسرعة دون تدخل الحراس والجيوش،

فأرسل بطلب ثلاثة فرسان، ثلاثة رجال كان يعرفهم جيداً، ويوكل إليهم الأعمال الصعبة والسرية.

وصل الرجال الثلاثة . وأحدهم يدعى (رشيق) . وهم مدججون بالسلاح وركعوا أمام المعتضد بانتظار أوامره،

فقال لهم: "انطلقوا الآن إلى سامراء، واسألوا عن محلة درب الحصى، وستجدون هناك داراً كبيرة، يجلس في بابها خادم زنجي، اقتحموها، واقتلوا كل من تجدونه في داخلها، وأتوني برأسه."

أومأ الرجال برؤوسهم طوعاً، وانطلقوا يقطعون المسافات بعجل فوق ظهور خيولهم حتى لاحت لهم من بعيد منارات سامراء،

لم يتوقفوا ولا للحظة؛ لأن أوامر المعتضد كانت واضحة.

دخلوا محلة درب الحصى، والأرض تهتز تحت حوافر خيولهم، وتوقفوا أمام دار كبيرة، ويجلس في الباب رجل أسود،

فصاح به رشيق: "لمن هذه الدار؟"

فقال الرجل: "لصاحبها."

امتشق الثلاثة سيوفهم، ودخلوا الدار، والرجل الأسود لم يرفع رأسه، وحتى أنه لم يكترث بهم.

دخلوا الحجرات والممرات، وبدأوا بتفتيش الدار التي بدت لهم خالية حتى وجدوا حجرة، وفي بابها ستارة، أزاح رشيق الستارة ليتفاجأ بحوض ملىء بالمياه، وفى آخر الغرفة رجل شاب يصلي فوق فراش يلامس الماء،

دهش الثلاثة، فإنهم لم يشاهدوا مثل هذا المنظر العجيب، فالرجل المصلي لم يقطع صلاته، ولم ينتبه لهم، وكانت المياه تحيطه من جميع الاتجاهات،

استل أحدهم سيفه، وألقى بنفسه في المياه التي ظنها على عمق ذراع أو أكثر بقليل، لكن المياه ابتلعته، وكأنها مياه البحر، فحاول الخروج دون جدوى، فغط في الماء، وتلاطمت الأمواج فوقه، ومد الرجلان أيديهم لصاحبهم وبالكاد استطاعوا أن يسحبوه من المياه التي عادت هادئة كما كانت،

فأصيب الرجال ثلاثتهم بالرعب، والرجل السماوي ما يزال يصلي بسكينة وطمأنينة،

جثا رشيق على ركبتيه، وصاح "المعذرة إلى الله وإليك، فوالله لا أعرف قصتك، وأنا تائب إلى الله."

مضت الساعات، والمعتضد يجول في أروقة القصر، فهو لم يستطع النوم ولا حتى الجلوس.

أفرغ كأساً من الخمر في جوفه دون أن يزيل عنه توتره وقلقه،

وفجأة سمع طرقاً على الباب، والحارس يخبره أن الرجال الثلاثة قد عادوا،

فدخل رشيق خالي الوفاض، فنظر المعتضد إليه يبحث عن كيس فيه رأس المهدي، ولكن رشيقاً جثا على ركبتيه، وقص عليه ما جرى.

كان هذا السيناريو هو الأسوأ الذي يمكن أن يحدث، فقد تمنى المعتضد لو أنه لم يبعثهم أو أنهم لم يجدوا أحداً،

ولكن الآن قد تغير كل شيء فالمهدي بن الحسن موجود، وهو يتحدى الخليفة وجنوده،

فصاح المعتضد بهم "هل لقيتم أحداً قبلي؟ وهل أخبرتم أحداً بما جرى؟"

أجابوه: "كلا يا سيدي،"

صاح بهم مهدداً: "سوف أقطع رؤوسكم إذا تحدثتم مع أحد بذلك"، وأشار لهم بالانصراف بغضب.

لن يقر للمعتضد بال، ولن ينعم بسلطان، والمهدي موجود، يتحداه أمام جنوده،

فقرر إرسال حملة عسكرية من جنود مجهزين بكل أنواع الأسلحة لاقتحام دار أبي محمد العسكري وقتْل من فيها.

انتشر الجنود في أركان محلة درب الحصى، وكأنهم قادمون لقتال جيش جرار، وليس رجلاً واحداً، فاقتحم الجنود الدار، وانتشروا فيه، ومعهم قائدهم الذي أمرهم بالصمت بعد أن ظن أنه سمع شيئاً،

أصغى عن كثب، وسمع بوضوح صوت تلاوة للقرآن الكريم، إن الصوت العذب قادم من الممر الذي يفضي إلى السرداب، أحاط الجنود بالدار، وسدوا جميع الممرات، وانتشروا في جميع الحجرات، وهم بانتظار أوامر قائدهم الذي بدا وكأنه يخطط للهجوم على بلاد الروم من شدة ارتباكه.

بقي الجنود بانتظار الأوامر عندما توقف صوت تلاوة القرآن، ورأوا شاباً أسمر ذا هيبة، يسير بهدوء بينهم، ومر من أمام عيون القائد ماشياً في الممر خارجاً من السرداب،

فاستغرب الجنود؛ إذ إن القائد لم يكترث لهذا الشاب الغريب.

أفاق القائد من غفلته، وصاح بالجنود: "اقتحموا السرداب، هيا، وأي شخص تجدوه اقتلوه.

استغرب الجنود هذه الأوامر وصدورها بعد أن غادر الشاب أمام أنظارهم السرداب، وذهب خارج الدار.

قال أحدهم: أ ولم يمر من أمامك يا سيدي؟

أجاب القائد نافياً "ما رأيت أحداً." وأكمل "لمَ تركتموه يخرج؟"!

أجاب الجنود: "لأنه مر من أمامك، ولم تأمرنا بالقبض عليه."

هاج المعتضد، وعربد، وكسر، وزعق عندما عادت الحملة العسكرية، وهي تعلن فشلها أمام رجل واحد من آل علي بن أبي طالب عليهم السلام

سيبقى أبناء "علي" مصدر قلق الملوك على مدى الزمان.

مرت الشهور والسنون، والمعتضد يتصيد لرجال الشيعة، ويشم أخبار الرجل الغائب الغريم، فتراه تارة يعتقلهم، وتارة يجاملهم لكسب ودهم. أطلق سراح عدد من رجال الشيعة مع تشديد المراقبة عليهم وعلى أموالهم،

وصدرت أوامره المشددة بالقبض على زوار قبر الإمام الحسين في كربلاء،

وانتشر كتاب موقع بتوقيع الإمام المهدي عليه السلام، ينهى فيه عن زيارة كربلاء حفاظاً على دماء شيعته،

كما أن سفير الإمام الثاني محمد بن عثمان اتخذ جانب الحذر، وانشغل بتجارة الزيوت التي ورثها عن أبيه الراحل.

أصبح المعتضد يمر بأزمة نفسية شديدة، فتارة يرى شيخاً كبيراً يصيح به، وتارة يرى فارساً يطارده في قصره، يريد قتله، فتهامس رجال البلاط عن أن مرضه هذا قد يكون بسبب حفلات التعذيب الوحشية التي كان يشرف عليها بنفسه.

(يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)

يس

ظهر القرامطة في البحرين، وعاثوا في الأرض فساداً، وتذكر الناس أيام ثورة الزنوج التي راح ضحيتها الآلاف،

واندلعت حروب طاحنة في خراسان، وظهرت الفتن في البصرة، وفي عام ٢٨٩ مات المعتضد لتنطوي صفحة دموية معه.

يغير القرامطة على دمشق، ويذبحون الأبرياء.

تولى المكتفي الخلافة بعد أبيه.

اشتبكت الأساطيل الحربية العربية مع أسطول الروم في البحر الأبيض المتوسط،

وسقطت الدولة الطولونية في مصر، وقامت الدولة الفاطمية،

وها هو المهدي عليه السلام يرى بعينيه الشريفتين سقوط وقيام الدول من حوله.

والرياح تهب، وتقتلع، وتذر الدول هنا وهناك، وهو الشيء الوحيد الثابت، وكأنه المحور الذي يدور حوله الكون، فتتجمع الغيوم، ويحل الظلام، ولكن شمس المهدي يشع نورها عبر الغيوم، تدخل الدفء والطمأنينة على قلوب البشر.

تمر الأيام والسنون، وتعصف الفتن والحروب، ويسقط خليفة، ويحل محله خليفة.

حل عام ٩١٧ وأصبح السفير الثاني للإمام شيخاً كبيراً في السن، فبدأ . وبحسب توجيهات الإمام الغائب . بإرشاد

الناس وتحويلهم عنه والرجوع في أمورهم وحقوقهم إلى أحد علماء الشيعة، وهو الحسين بن روح النوبختي لكي يهيئ الناس للارتباط بالسفير الثالث؛ إذ إنه علم من مولاه القائم أنه قريباً يودع الدنيا بعد أن قضى عمره في خدمة ابن الرسالات وبشارة الأنبياء.

وها هو قد حفر لنفسه قبراً في داره، وكان يجلس في قبره كل يوم، ويتلو القرآن، فاستغرب بعض أصحابه، وتساءلوا عن سبب هذا القبر، فأجابهم الشيخ الذي هدته السنون والفتن: "إني قد أُمرت أن أجمع أمري،

فقالوا له: "ومن بعدك يا شيخ"؟

فقال بصوت واضح "الأمر من بعدي إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي،

وأشهد على ذلك جمعاً من الناس،

وأضاف قائلاً: "إني قد أُمرت أن أجعله في موضعي بعدي، وهو السفير بينكم وبين صاحب الأمر الإمام الغائب والوكيل عنه والثقة والأمين، فارجعوا إليه فى أموركم، وهكذا أُمرت، وقد بلغت" وأشهدهم جميعاً على ذلك.

وهكذا غابت شعاع شمس السفير الثاني بعد عمر قضاه بإظهار كلمة الله ونشر نور الرجل السماوي بين ظلمات الأرض.

شعاع الشمس الثالث

وأضاء شعاع نور السفير الثالث الحسين بن روح

في زمن يموج بالفتن وبالطائفية والعيون التي ترصد، والآذان التي تسمع كل ما يدور بين الناس عن أمر الغائب المهدي عليه السلام.

وظهرت فتنة الحلاج، ومن بعده فتنة الشلمغاني الذي أعلن كذباً أنه سفير الإمام المهدي بدلاً عن الحسين بن روح الذي اختفى عن الأنظار بسبب الظروف، فعاد، وحذر الناس من الشلمغاني وكذبه وانحرافه.

وتلاطمت أمواج الفتن والفساد بين الناس إلا فئة ثابتاً أصلها في الأرض، وفرعها في السماء، تسمع ما يقوله الإمام المعصوم الغائب بلسان السفير الثالث الحسين بن

روح، وتطيعه، فكلامه عليه السلام نور، وأمره رشد، ووصيته التقوى، وفعله الخير، والحق ما يأمر به، والباطل ما ينهى عنه.

وفي هذه الأثناء ألقي القبض على الحسين بن روح، وأودع السجن، فاستغل الشلمغاني سجن الحسين، وأعلن نفسه السفير حتى صدر توقيع عن الإمام المهدي عليه السلام إلى الحسين بن روح، وهو في سجنه، يلعن فيه الشلمغاني، جاء فيه:

عرف . أطال الله بقاءك، وعرّفك الخير، وختم به عملك . من تثق بدينه، وتسكن إلى نيته من إخواننا – أدام الله سعادتهم . بأن محمد بن علي المعروف بالشلمغاني عجل الله له النقمة، ولا أمهله قد ارتد عن الإسلام، وفارقه، وألحد في دين الله، وادعى ما كفر معه بالخالق – جل وتعالى

– وافترى كذباً وزوراً، وقال بهتاناً وإثما عظيماً. كذب العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً.

وإنا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله وآله . صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليهم – منه ولعنّاه.. عليه لعائن الله تترى في الظاهر منا والباطن والسر والعلن وفي كل وقت وعلى كل حال وعلى من شايعه، وتابعه، وبلغه هذا القول منا، فأقام على توليه بعده.

وأعلمهم – تولاك الله . أننا في التوقي منه على مثل ما كنا عليه ممن تقدمه الشريعي والنميري والهلالي والبلالي وغيرهم. وعادة الله – جل ثناؤه مع ذلك قبله وبعده . عندنا جميلة، وبه نثق، وإياه نستعين، وهو حسبنا في كل أمورنا، ونعم الوكيل.

فكشف الله على يد بقيته الغائب وسفيره الامين فتنة الشلمغاني،

فرج الله عن شيعة آل محمد، وأطلق سراح السفير الثالث الحسين بن روح، واستأنف أعماله في التوسط بين أوساط الشيعة وإمامهم المنتظر بحذر وسرية، على رغم محاولة البلاط التقرب منه ومجاملة الشيعة ورفع الظلم عنهم بصورة مؤقتة ليتفرغوا لحرب القرامطة ومهديهم المزيف والحنابلة الذين كانوا من المنحرفين ذوي النعرات الطائفية، فظهر الحسين بن روح بموقف متزن معتدل برفضه للطائفية في ذلك الجو المشحون والحساس، ومعه شيعة آل محمد الخلص.

سقطت خلافة المقتدر، وتولى القاهر زمام الحكم لأيام معدودات قبل أن يخلع القاهر، ويعود المقتدر إلى سدة الحكم مرة أخرى، وليس لمدة طويلة قبل أن يقع المقتدر

في كمين لجنود القاهر، ويقتل، ويقطع رأسه، ويلقى على الأرض عارياً.

فالخلافة الإسلامية كما وصفها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يتلاعب بها صبيان بني العباس..

فعاد القاهر إلى كرسي الخلافة الإسلامية، وبدأ عهد جديد من الإرهاب والوحشية والاغتيالات السياسية، فقد كان متعطشاً للقضاء على جميع من يقف في طريقه، فأدت سياسته الشديدة القاهرة إلى تمرد الجيش ضده، فاقتحموا القصر، وألقي القبض عليه، وزج في السجن، وقام قادة الجيش بانتخاب ابن المقتدر للخلافة، وسمي بالراضي. .

وفي عام ٣١١ هجرية قامت الدولة الأخشيدية في مصر، وانبعثت من الرماد دولة الأدارسة في المغرب.

وها هي الدنيا تموج، وتدور كالدولاب والإمام المهدي عليه السلام في مرتكزها ثابت يرى بعينه قيام وسقوط الدول وسقوط خلفاء وقيام خلفاء آخرين، ومعه سفيره الثالث الأمين الحسين بن روح الذي كان يقوم بعمله على أكمل وجه، ويسير بخطى ثابتة وسط العواصف، والإمام الغائب يهمس في أذنه بالذي يجب أن يفعله، ويقوله.

فالسفير الأمين كان يحارب السلطة وبطشها، ومن جهة أخرى يحارب الإرهاب الحنبلي الطائفي، ويواجه بحزم تيار الغلو في بعض أوساط الشيعة. واستمر الشيخ الحسين بن روح حتى أعياه المرض، وتدهورت حالته الصحية، فاجتمع عنده رجال من كبار وثقات الشيعة لزيارته، فأطلعهم على كتاب مختوم بختم الإمام المهدي عليه السلام، يأمرهم فيه بإلقاء حمل السفارة على رجل صالح يدعى أبا الحسن علي السمري.

(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)

الأنبياء

شعاع الشمس الرابع

وهكذا اختفى شعاع السفير الثالث، وأضاء شعاع السفير الرابع, فالأمام المهدي هو الشمس و سفرائه هم الأشعة التي تصل الى ناس رغم تلبد السماء بالغيوم وحجب الشمس عنهم

السفير الرابع علي السمري الذي تسلم وكالة الإمام الغائب في زمان عصيب جداً، اتسم بحروب أهليه طاحنة بين جيوش الخليفة وولاة بعض الأقاليم والأمصار، ووصلت الجيوش إلى أطراف بغداد، واستمر الوضع الخطير والانقلابات حتى موت الخليفة الراضي ليُختار إبراهيم بن المقتدر الذي عرف بالمتقي.

وفي منزل السفير الرابع حضر بعض زعامات الشيعة من مدينة قم، فسألهم السفير عن الشيخ ابن بابويه القمي بعد أن سمع أخباراً عن مرضه، فقال الرجال: إنه قد شفي من مرضه عندما تركوه،

وفي اليوم الآتي، وعندما كان الرجال جالسين دخل السفير علي السمري عليهم، وقال: "آجركم الله في الشيخ القمي، فقد قبض في هذه الساعة،

فأخرج أحدهم قلماً، وكتب التاريخ واليوم والساعة، وبعد أسبوعين وصل بريد من قم يفيد بوفاة الشيخ في الوقت نفسه الذي أخبر به السفير الرابع،

وقد عكست هذه الحادثة الطمأنينة في نفوس أوساط الشيعة في أن إمامهم موجود بينهم، وأن سفيره الأمين هو علي السمري.

في ٩ شعبان عام ٣٢٩ هجرية قام السفير الرابع باستدعاء كبار الشيعة وزعاماتهم من أجل أمر خطير سوف يغير مستقبل الشيعة إلى الأبد،

فقد صدر عن الإمام صاحب الزمان عليه السلام كتاب خطير مختوم بختمه، مفاده:

"بسم الله الرحمن الرحيم

يا علي السمري، عظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام،

فأجمع أمرك، ولا توصِ إلى أحد، فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة! فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى،

وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً،

وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة،

ألا من ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم."

شاهت الوجوه. توقفت القلوب عن النبض، وجحظت العيون

عم صمت رهيب على المجلس،

فهم الآن أمام واقع جديد قاسٍ مرير حيث شمس المهدي قد غابت خلف السحب، وهذه المرة لن يصل شعاع منها عبر سفيرها.

هذه المرة سوف تغيب ولن تشرق الشمس.

سيبقى الناس في الظلام، ليس معهم إلا نور كلمات الإمام المهدي وآبائه.

بكى بعضهم بحرقة. فالانتظار سوف يطول

ستة أيام، وسوف يفقدون الوسيلة لإمامهم،

ستة أيام وسوف يغدون كالجيش دون قائد،

ستة أيام عصيبة وسوف تبدأ غيبة إمامهم الكبرى.

آه، أي قلوب تلك التي تحملت وقع هذا الخبر،

ها هم قد تاهوا في الأرض في الظلام، يمدون أيديهم، لكن لا أحد يمسك بها، لا شيء يرشدهم سوى همسات ملائكية هنا وهناك، يهمس بها إمامهم ليدلهم على الطريق الذي رسمه محمد رسول الله على رغم غيبته عنهم.

يقول لهم: "أنا إمامكم وحفيد نبيكم هنا معكم، لن أرحل عنكم، ما زلت أسير في الطرقات بينكم، وأراكم واحداً واحداً.

أنا نور الله فيكم، وانا الذي سوف انقذكم، فصبراً يا شيعة آل محمد.

والقلوب تنبض قائلة: عجل فدتك النفس يا ابن الحسن

حل الشتاء الطويل ولياليه الحالكة، وبدأ انتظار قدوم الربيع، الربيع الذي ولد في محلة درب الحصى في سامراء، وما يزال العالم أجمع بانتظار أن يأتي ليبدد الظلام ولتتفتح الأزهار.

سَلامٌ عَلى آلِ يسٓ،

تم بحمد الله